الفينومينولوجيا والإبستيمولوجيا

القيمة الإبستيمولوجية للرد الفينومينولوجي عند هوسرل

بن عبد الله حسين

مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها – جامعة تلمسان

الملخص:

تعمل هذه الدراسة على تحليل أحد المفاهيم الأساسية في فينومينولوجيا هوسرل منذ بدايات التأسيس إلى غاية النهاية وهو مفهوم الرد أو الإيبوخي، لكن تحليل هذا المفهوم هنا سيكون من وجهة نظر إبستيمولوجية، ومحاولة كشف هذا البعد الذي تمتلكه أداة الرد وبصفة عامة هي تحليل العلاقة بين الفينومينولوجيا والإبستيمولوجيا.

الكلمات المفتاحية :الفينومينولوجيا ، الإبستيمولوجيا ، الرد ،الذاتية المتعالية ،السيكولوجيا ،الوضعية، العالم المعيش .

résumé

cet étude se base sur l' analyse de l' un des concepte fondamontal de la phénoménologié husserlienne depuis le commencement jusqu a la fin .c est la reducion qu on va traiter d un coté épistimologique , et de traiter d' une facon generale la relation entre la phénoménologié et l épistimologie

Summary:

This study is a try to analyses one of the basic concepts in the Husserl's Phenomenology from the Finnomology's beginnings of the to the end. This is the concept of reduction or epokhe, but the analysis of this concept will be from an epistemological point of view and an attempt to uncover this dimension between Phenomenology and epistemology.

مقدمة:

إحدى الميادين التي تهمنا مباشرة هو ميدان البحث العلمي، في هذا الإطار مصطلح الردّ الفينومينولوجي مألوف و هو مستعمل في إسناد إلى حالات لصور وهيئات مختلفة، معنى الردّ كما نجده عند هوسرل في الميدان العلمي، وهو ذلك الذي ينتج عن الفلسفة الفينومينولوجية، لكن زيادة على ذلك هوسرل كان يدّعي دائما رفع الفلسفة إلى درجة العلم، « أريد أيضا أن أوضح من خلال الإقتباس من الأمثلة التي قدمها المؤسس (هوسرل) بأنه هوسرل ذاته مارس مختلف أشكال الردود العلمية التي سألخصها كما أقترح ثلاث أنواع: الردّ الإبستيمولوجي، الردّ المنهجي، الردّ البرمجي»[1].

هذا الإستعمال لمصطلح الردّ هو جدّ واضح في الميدان العلمي الذي لم يتم تأهيله، مصطلح الردّ تكمن أهميته بصفة عامة في القيام بجمع مستوى إلى مستوى آخر أو على العكس، رفض هذه الإمكانية عندما تكون الأدلة مجموعة ومستقرة غالبا ٬ نجد تأهيلات نظرية الرد (réductionisme)بالنسبة لأولئك الذين يدافعون عن هذا أو ذاك الردّ، نستطيع تأهيل هذا الردّ إلى الردّ الإبستيمولوجي، بالنسبة للهيئة الأولى.

« من خلال العديد من الطرق، الردّ المتعالي إستقرّ أيضا في مستوى للتحليل الأصلي المتعذر تبسيطه إلى أيّ وجهة نظر أخرى لأنّ المتعالي في معنى هوسرل لا يمكن أن يرجع إلى وجهة نظر أمبريقية ولا وجهة نظر منطقية استنباطية، إنه يعني وضعية أصلية ومنيعة تكشف ميدان بدون شبهات، هي الوظيفة الإبستيمولوجية للردّ المتعالي والتي لا تختلط أو تختزل فقط في الفينومينولوجيا كسيكو فينومينولوجيا».[2]

والسبب في تدهور العلم حسب هوسرل هو الإرتباط بالوضعية من جهة، والإنفصال من جهة أخرى عن الفلسفة الميتافيزيقية والتي هي الأساس حسب هوسرل. [3].

لكن ما تعرض له هوسرل في سنوات 1935، 1936 هو محاولة إيقاف الموجة اللاعقلانية التي تغذت من الوضعية (العلوم الوضعية) وتجدر الإشارة إلى أنهّ لم يرض فقط بالتخلي عن السيكولوجيا كما فعل في "**بحوث منطقية**" وعرض منهجية الردّ الفينومينولوجي المتعالي كما فعل في كتاب "**الأفكار**" وليس إقتراح الديكارتية الجديدة المفتوحة على "**البين ذاتية**" كما فعل في "**التأملات الديكارتية**" هوسرل إقترح العودة إلى العالم المعيش الذي لم ينتبه إليه لا غاليلي ولا ديكارت ولا كانط ولا حتى هيوم، ذلك لأنّ هذا الإكتشاف ذاته يفرض الردّ الفينومينولوجي لعلم الطبيعة الذي وضعه غاليلي. العالم المعيش الذي لم يستطع أيّ من هؤلاء العودة إليه، الردّ الفينومينولوجي يعني هنا كما نلاحظه الوضع بين قوسين وكإرادة قوة تمنع أيّ تدخل وهو شبيه بالشك كما هو عند الشكاك[4]

إنه معنى مختلف، لكي لا نقول المعارض لإستعمال المصطلح الذي ينتجه الوضعين (عن الردّ). الأكيد، أنّ هذه الفكرة ليست أبدا جديدة في سنة 1935. وهو ما تمّ الإشارة إليه في كتاب هوسرل "**المنطق الصوري والمنطق نستندالي**" أين

كان يبحث هوسرل تحت نظام حكم التجربة ذاتها وأصل الحكم الأولي (القبلي) لكي يوضح أصل التوليفة بين التجربة والقبليات الأولية، والتي لديها ميزة الدوكسا السابقة عن الإبستيمي. يوضح هوسرل بأنها تعطي للعالم الحضور الجوهري في مقابل الحياة، قسم من هذا الدور قد خصص من قبل إلى الذات المتعالية كلّ هذه الأفكار ستؤكد في كتابه الذي نشر بعد وفاته:. L'égo-transcendantal Erfahrung und urteil. Untersuchungenzur genealogies »

[5] (1939) «der logik. لا أريد أن أعلق على كتاب الأزمة الذي هو بالنسبة لي أروع كتب هوسرل على الإطلاق. ولا أريد أن أعلق على الدراسة التي إستخرجها مشال هنري من هذا الكتاب ولا حتى الإجراءات المعروفة في إطار فينومينولوجيا العالم المعيش التي توسع ميراث هوسرل، إنشغالاتي الإبستمولوجية التي ربما على الأقل أتمنى أن تكون قريبة من نظرة هوسرل نفسه والتي تدفعني إلى توجيه فينومينولوجيا العالم المعيش إلى طريقين أساسيين، حيث الطريق الأولى لا تستطيع الخروج عن هوسرل[6]

إن القيمة الإبستيمولوجية للرد الفينومينولوجي تكمن في الحمولة النقدية للعالم و المعرفة فمهمة الرد والإيبوخي في الفينومينولوجيا و خا صة في المرحلة الأخيرة في الأزمة كان يهدف إلى نقد العلم وذلك من خلال توضيح الأزمة التي كانت تعيشها أوروبا ،هذه الأزمة المتمثلة إنحراف العلم عن مهمته الأصيلة من خلال إرتباطه بالنزعة الوضعية التي حولت العلم إلى طرق تقنية ترتكز على العادة و التكرار مقصية بذلك الجانب التأملي العقلاني , إستفحال التقنية كان بسبب السيطرة الرياضية على الطبيعة و العلوم الطبيعية هذا من جهة ومن الجهة الأخرى كانت مهمة الرد تسعى إلى نقد تجربة العالم المعيش.إن الأطروحة التي كان يسعى غاسطون باشلار* إلى تأسيسها هي نفسها التي قام هوسرل بتأسيسها من خلال الفينومينولوجيا الترنسندنتالية التي يشكل الرد الفينومينولوجي عمودها الفقري و خاصة فيما يتعلق بفلسفة الرفض أو النفي. إن هذه الأخيرة هي الوجه الآخر للقيمة التي يحملها الرد الفينومينولوجي «و يمكننا أن ندرك في تفصيل المفاهيم ما سنطلق عليه إسم فلسفة الرفض/النفي/اللا و الحال هاكم مخططنا لكي نمثل فورا على الملاحظات السابقة الغامضة في عموميتها سنقدم مند فصلنا الأول مثالا عن هذه الفلسفة المشتتة التي هي في رأينا الفلسفة الوحيدة القادرة على تحليل التركب الشديد للفكر العلمي الحديث » [7] أما في العنصر الأخير و المعنون "فينومينولوجيا مختلفة" فينهي ألفونس غريدرفي مقاله"**غاسطون باشلار فينومينولوجي العلم المعاصر**" في آخر المطاف إلى توضيح صراع بين الفينومينولوجيا البشلارية و الفينومينولوجيا الهيجلية بدون البحث عن إعطاء إمتحان تاريخي دقيق لعلاقة باشلار مع الحركات الفينومينولوجية في مجملها . « فيما يتعلق بالفينومينولوجيا الهوسرلية . إثنان من مظاهرها إستفاد منهما باشلار الأداة المنهجية للوضع بين قوسين من إدعاء الموقف الطبيعي و كذا المحاولة الهوسرلية التي تكشف نوعية الأفعال و نوعية المكونات الخاصة بالوعي و التي من خلالها الواقعية الموضوعية تتقوم بالنسبة لنا»[8] من جهة أخرى ستتضح القيمة الإبستيمولوجية للرد الفينومينولوجي ولكن من وجهة نظر غاسطون باشلار «باشلار يكتب بأن "واقعية الحدس الأولي يجب علينا أن توضع بين قوسين " في سؤال

"من سيضعها بين قوسين و لماذا؟ " نستطيع الإجابة بأنه حسب باشلار العالم كالفيلسوف هما من يضعان بين قوسين لكي نتجنب السقوط أو ننخدع بالحدوس الأولية للواقعية الساذجة و التجربة العامة و التي يعتبرها باشلار عائق في التطور العلمي و التأويل الفلسفي»[9] بطريقة أخرى ما يريد باشلار أن يضعه بين قوسين لا يمس إلا جزء معين مما يمسه الإيبوخي الهوسرلي حسب هوسرل إدعاءات العلوم التجريبية في مجملها و حتى العلوم الرياضية المحضة يجب عليها أن توضع بين قوسين

لقد وصف باشلار فلسفته بأنها فلسفة النفي أو فلسفة اللا إنها الفلسفة التي تقول لا لعلم

الأمس وللطرق المعتادة في التفكير ولا تأخذ الأفكار البسيطة على أنها أفكار بسيطة فعلاً يجب

التسليم بها من دون مناقشة بل إنها تجتهد في نقد هذه البسائط نقداً جلياً لتكشف عما تنطوي

عليه من غموض لكن ذلك كله لا يعني أنها فلسفة سلبية يقول باشلار: الواقع أنه يجب أن نبينه دوماً إلى أن فلسفة النفي ليست من الناحية السيكولوجية نزعة سلبية ولا هي تقود إلى تبني العدمية إ زاء الطبيعة فهي بالعكس من ذلك فلسفة بناءة سواء تعلق الأمر بنا نحن أو بما هو خارج عنا ، فلسفة ترى في الفكر عامل تطور عندما يعمل ، إن التفكير في الموضوعات الواقعية معناه الاستفادة مما يكتنفها من لبس وغموض قصد تعديل الفكر وإغناءه ، وتجديل الفكر " تطبيق الديالكتيك عليه " معناه الرفع من قدرته على إنشاء الظواهر الكاملة ، إنشاءاً علمياً وعلى إحياء جميع المتغيرات المهمة التي كان العلم ، والفكر الساذج قد أهملاها في الد راسة الأولى[10]

بهذه الطريقة تصبح الموضوعات العلمية عبارة عن مجموع الإنتقادات التي وجهت إلى صورتها الحسية المتخيلة التي يقدمها هذا العلم أو ذاك عن أشياء الطبيعة ، أن المهم هو الانتقادات وأنواع الرفض التي تلاقيها هذه الصورة من طرف العلماء والآخرين . أن فلسفة النفي إذاً ترفض كل تصور علمي يعتبر نفسه كاملاً نهائياً بل تعتبر أن العلم بناء يبنى على الدوام ويعاد فيه النظر باستمرار. إن الإبستمولوجيا يمكن أن تستفيد في نظر باشلار من التحليل النفسي من أجل بلوغ أهدافها من تحليل المعرفة العلمية ، إن أحد المهام الأساسية التي يعين باشلار للإبستمولوجيا أمر القيام بها هي القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية ويخصص باشلار واحداً من أهم كتبه للبحث في هذه المسألة هو كتابه: تكوين العقل العلمي : مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية ربما ما استطيع الإشارة إليه هو أن العقلانية العلمية التي كان يسعى هوسرل إلى تأسيسها والتي يلعب الرد الفينومينولوجي الدور الرئيسي فيها هي عقلانية علمية ترتكز على قوة الميتافيزيقا في حين العقلانية العلمية التي يسعى غاسطون باشلار إلى تأسيسها هي عقلانية ميتافيزيقية و تجريبية أي أنها لا ترتكز بشكل أساسي على الميتافيزيقا

تبعا لـ هوسرل فإنه لمن الغموض أن نأخذ العلوم كشيء موجود آنفا، كما لو أنّ البحث عن التأسيس يمكن أن يعني بكل بساطة توضيحا يأتي بعد فوات الأوان، أو عند الاقتضاء، هو تحسين لا يعدل هذه العلوم جوهريا: التعريف بالمفاهيم الأساسية المؤسسة لكل العلوم هو فعلا للتأسيس بالمعنى الأوسع للفظ. لأنّ « العلوم التي لها

مفارقات، التي تنجز بمفاهيم أساسية التي ليست مخترعة بعمل توضيحي للأصل أو عن طريق النقد ليسوا علوما، بل هم عبارة عن نظريات تقنية».[11]

العلم الأصيل ليس ممكنا إلا من خلال البحث الجذري وفعل التأسيس المنتج لمفاهيم أساسية موضحة. « كيف يمكن إرضاء هذه الجذرانية، إذا لم نفعل ذلك مطلقا، ففي أيّ تتابع للتقريبات المنهجية يمكن لنا إرضاؤها، فهذه يجب أن تكون (...) عنصرا أساسيا لعمل منطقي موّجه نحو الذاتية. ومع ذلك فلسنا هنا إلا في البدايات وبداية هذه البدايات هو العمل الذي يعني بالمفاهيم الأساسية بالمعنى الأكثر دقة».[12]

يميّز هوسرل في كل علم ثلاثة أفلاك محورية مختلفة. تبعا له « كل "رؤية" تتضايف مع كل ما عرفنا هويته مع "بداهة" حقه الخاص، مع كل مجال مغلق لـ "التجربة" الممكنة بوصفها مجالا للعلم، كمحور لهذا العلم، بالمعنى الأول والأكثر حقيقة. وبالمقابل فكل فلك محوري يتضمن فلكا محوريا ثانويا، فلكا لنقده. هذا النقد هو نقد المعرفة بالمعنى الأول، أي نقدا يرتبط بالنتائج المثالية للمعرفة لهذه "النظرية"».[13]

بفضل هذا النقد بالمعنى الأول، كما يصفه هوسرل « النقد التحليلي للمعرفة»، « كل علم له صلة مع التحليل المأخوذ كعلم شامل للنظرية المدركة في عمومية صورية وبالتضايف مع صلة بالتكنولوجيا التحليلية غير المحدودة بطريقة مطابقة».[14]

وأخيرا، فكل علم يملك مستوى محوري ثالث، هو فلك للنقد، غير أنه نقد موجب بطريقة أخرى: « هذا الفلك يخصّ الذاتية المؤسسة المتعلقة بكل مجال وبكل إنجاز علمي الذي يشغل هذا المجال (...) نحن قمنا هنا (...) للنقد».

لا سبيل مع هوسرل لرفع الأزمة التي خلقها تفاقم التقنية والنزعة الموضوعية إلا بالتمسك بمبادئ العقلانية. والفلسفة ما هي ذاتها إلا أعلى تجسد لهذه المعرفة التي تضع العقل حكمها وقانونها الخاص. ولذلك سيعلن بأن " أزمة الوجود الأوروبي"لا تملك إلا مخرجين : إما السقوط في مهاوي الإنحطاط بفعل نسيان المعنى العقلاني للحياة، وإما العمل على نهضة " أوروبا" عن طريق إحياء روح الفلسفة؛ هذا المخرج الثاني لن يكتب له التحقق إلا بفضل "بطولة العقل التي يرفعها هوسرل سلاحا للقضاء على النزعة الطبيعية. يجدر بنا التمييز بين العلم في وضعانيته الساذجة، أي العلم الذي ليس بإمكانه أن يكون إلا درجة أولى تحضيرية للعلم الأصيل، وهذا الأخير هو الفلسفة ، ليس هناك إلا فلسفة وحيدة، علم حقيقي وأصيل وحيد؛ فيه تكون باقي العلوم الخاصة أعضاء غير مستقلين.

« التأسيس الأصلي لكل العلوم والأنطولوجيا الصورية لنوعي الممارس (المحترف) لهذه العلوم وظيفة إبستيمولوجية، أي معيارية ترجع الوحدة، لكل العلوم، على شكل أغصان لإنجاز تأليفي يتأتى من ذاتية متعالية نفسها فقط ».[15]

وفي سياق التكلم عن العلم الشامل للذاتية المتعالية، يصفه هوسرل كعلم وحيد الذي « يرجع إلى مثالية تأسيس المعرفة، في خطوة مجردة تماما من الإفتراضات والأحكام المسبقة، معنى مشروع الذي هو المعنى الوحيد القابل للإدراك. الكل يوجد (...) وأخيرا (...) متعلق بالذاتية المتعالية. لكن هذه الأخيرة وحدها بذاتها ولذاتها، في نظام طبقي كطابق للتوليف الذي يقود إلى المستويات المختلفة للذاتية المتصلة المتعالية ».[16]

لكي يتمكن الفكر من تجاوز هذه الأزمة التي تضعه فيها النزعة الموضوعية، على الفلسفة أن تبلور الشروط الضرورية لبناء "مفهوم أوروبا لا بما هو تحديد جغرافي وإنما بما هوغائية تاريخية لأهداف عقلانية لا متناهية لكن ذلك هو ذاته ما يشكل قوام "العالم" الأوروبي الذي يبقى عالما عقلانيا في صميمه، عالما وجد نشأته في أفكار العقل، أي في الخطاب الفلسفي كما صاغه الإغريق. وما يتوخاه هوسرل هنا بالتحديد ليس شيئا أخر سوى إحياء هذه الروح العقلانية في صورة فلسفة ترنسندنتالية فينومينولوجية.

ومع الرد المتعالي، تبدأ الذات في الشعور الذي يقود إلى تناول مطلق لذاته، إلى تناول ذاته (Ego). و التأسيس الأقصى لكل حقيقة عبارة هكذا عن غصن لشعور شامل للذات: « ملتزما ومتشبثا في هذا الشعور، إكتشفت أنه من ذاتي نفسها، نابعا من إنفعاليتي (تداعي) وبنشاطي الخاص، أولا في طريقة ساذجة، الذي يتأتى من الصياغات النظرية للظاهراتية المتعالية وهذه الأخيرة ذاتها، بوصفها وحدة مفتوحة وغير محدودة للعلم».[17]

ويختم هوسرل مذكرا بغائية تحليلاته: « وهكذا فلم نعمل إلا على تحديد جوهر المذهب الصوري للعلم وعملنا على قيادة هذا المذهب إلى غاية شكله المتعالي، بينما الفكرة الممتلئة لمذهب العلم، للمنطق، للأنطولوجيا تحصل فقط على إطارها وتعود إلى عروض مستقبلية التي تدلنا على كيفية التقدم في هذا الأفق».[18]

وإذا كان إقتناعه قويا بأن الفينومينولوجيا لا تجسد فقط متابعة للكيفية التي يعطى ويتكون بها الوعي بل أيضا **أخلاقا** وممارسة، فإنه سيدرك تدريجيا بأن الفلسفة عقلانية في صميمها وأن على الفينومينولوجيا أن تصاحب كل مراحل الحياة الإنسانية، سواء أتعلق الأمر بالحياة النظرية أو بالحياة العملية. إنه بهذا لا يحيي فقط هذا المبدأ الإغريقي الذي يرفع اللوغوس فوق العالم ليجعل منه ناموسا كونيا بقدر ما يعمل أيضا على الوفاء لهذا الخط الهيجلي الذي يجعل العقل محايثا للتاريخ وللوجود. ألم يكن هيجل هو الفيلسوف الذي سيسير بالنموذج الإغريقي إلى أقصى حدوده؟ ألم يكن هو الذي سيظهر أكثر من سابقيه أن اللوغوس يحكم الوجود وأن تصور ما هو موجود هو مهمة الفلسفة بلا منازع لأن الموجود عقلي بالأساس؟. أجل، إن الفلسفة لوغوس الوجود، ولأنها كذلك فإن أسباب إنبثاقها لا تكتمل إلا باجتماع أسباب معقولية العالم.

صحيح أن نفس المبدأ العقلي الذي يطلعنا عليه هيجل هو الذي نتبينه عند هوسرل، إلا أن ما سيأخذ باهتمام هذا الأخير سينحصر في عقلنة مراحل "عالم العيش" بحيث تكون هذه العقلنة هي ذاتها السلاح الذي يشهر في وجه خطر استفحال النزعة الموضوعية.

لقد سما هيجل بالفلسفة إلى حد إعتبارها لوغوس الوجود. أما هوسرل فسيجعل من "التجربة" ومن " المعيش" الأساس الأول لكل تفكير فلسفي، ولذلك فإن ما ظل يعيبه على العلوم الحديثة هو تشييدها " لموضوعات مثالية" وإهمالها في المقابل لعالم العيش الذي يبقى، كيفما كان الحال، أساس ومبدأ معقوليتها. لقد تناست هذه العلوم عالم الإدراكات المباشرة، عالم ما قبل العلم؛ وهذا بالضبط هو الوجه السلبي للإفراط في مسالك النزعة الموضوعية. صحيح أن هذه المعقولية التي يتتبعها هوسرل ينبغي أن تتم في مجالات الإيبوخي، لكن هذا لا يعني في حد ذاته نفي الموقف الطبيعي ولا إقصاء الدوكسا. حل هذا الإحراج يبدو وأنه المهمة التي إقترحها كتاب (**الفلسفة الأولى**) في جزئيه اللذين يبدو وأنهما قريبين من بعضهما.

الجزء الأول لكتاب (**الفلسفة الأولى**) المعنون بـ "**التاريخ النقدي للأفكار**" يعطي تاريخا للحظات النموذجية والنقدية لتطور الفكر الفلسفي منذ أفلاطون إلى كانط مرورا بـ ديكارت، لوك، هيوم، لأنّ الظاهراتية المتعالية هي تحقيق لبداية العلم المطلق، ولم تكن الفلسفات السابقة إلا صيغا تمهيدية، وإنجازات لانهائية لم تكتمل لـ: "الفلسفة".

لهذه الاعتبارات كلها يقول هوسرل : «ينبغي أن يكون الرجوع الأصيل إلى سذاجة العيش الطريق الوحيد الممكن للتغلب على السذاجة الفلسفية الكامنة في " علمية" الفلسفة ذات النزوع الموضوعي التقليدي، لكن من خلال تأمل يعلو فوق سطح هذه الأرض. »[19] ويجدر أن نذكر، في التعليق، « الأنا (Ego) معطى ضرورة كـ "كشف صامت". ولا يمكن لأن يحمل على التعبير إلا بفضل الردّ، من خلال التحليل القصدي النسقي الذي يسأل العودة إنطلاقا من ظاهرة العالم. وبهذه الخطوة النسقية، تنجز التحليلات السابقة، فرع تضايف العالم والذاتية المتصلة المتعالية المموضعة في الإنسانية».[20]

فلا سبيل لإحلال "الذاتية الترنسندنتالية" محل "النزعة الموضوعية" بدون المرور من عالم العيش الذي يبقى في نظر هوسرل الأصل الأول والمبدأ الذي لا محيد عنه.

غير أن رد الإعتبار لعالم العيش لا يعني هنا الإغراق في "الموقف الطبيعي" لأن ذلك من شأنه أن يردنا مرة أخرى إلى النزعة الطبيعية. « ما هو في ا لموقف المدني- الطبيعي لعالم الحياة قبل التعليق هو تخارج متبادل، بسبب تموقع الأرواح في الأجساد، هذا ما يتغير بواسطة التعليق (الوقف) في سريرة خالصة متبادلة قصديا. وفي نفي الوقت العالم (...) يتغير في ظاهرة مشتركة شاملة "العالم"، "العالم لكل الذوات الواقعية والممكنة"، أين لا يستطيع أحد أن يتملص من التضمن القصدي الذي ينتمي قبليا إلى أفق بعض الذوات كيفما كانت».[21]

إذا كانت هناك ضرورات تفرض الإنطلاق من عالم العيش فلأن الهدف يظل عند هوسرل هو بلوغ هذه "الذاتية الترنسندنتالية" التي يحرص أشد الحرص على إفراغها من مضامينها السيكولوجية. ولهذا بالضبط سيزداد من جهة أخرى وعيا بأهمية مجال "ترابط الذوات في أعماله الأخيرة مردودة إلى باطنيتها الخالصة، تملك كل روح حياة

أصلية خاصة. إنها تنتمي مع ذلك إلى هالة في كل مرة شعورا بالعالم، لأنها تملك تجارب للإحساس بالآخر الذي يفتح لها شعورا تجريبيا بالآخرين باعتبارهم مالكين لنفس العالم المشترك. « ونفس الشيء بالنسبة لكل ذات لعلم الأنا تملك مجالا للإدراك أصليا في أفق الإنفتاح الحر على نشاطها، (...) ونفس الشيء فالكل يملك أفقا للتعاطف، إلى ذاتيته المشتركة، إلى فتح تجارة مباشرة وغير مباشرة، مع سلسلة الآخرين، كل واحد للآخر، الذي بدوره يمكن أن يملك آخرين من جديد، الخ».[22]

وهو ما كان يسعى مارك ريشر* إلى توضيحه بعد التذكير بنقطة إنطلاق هوسرل في مؤلفه "الأزمة"، يجب إضافة بأنّ هوسرل في هذا المؤلف كان إهتمامه الأساسي ليس أبدا أولية العلاقة بين الموضوع القصدي وتأثيرات الوعي لكن بين العالم والذاتية المتعالية، بينما هذا العالم ليس هو العالم الموضوعي أو العالم كأشياء لكن هو العالم المعيش، بماذا تعلق ، خاصة وأنه السؤال الذي تستخرج منه الفينومينولوجيا المتعالية كعلم، مذكرين أوّلا أنّ ما نسميه علما في العالم الذي لديه قيمة باستمرار بالنسبة لنا في العالم المعيش هو نوع خاص من ا لنشاطات والتنفيذات الغائية التي تأتي من الذات كون الهدف النظري الجديد للحياة العالمية نفسها تفرض العديد من الإيبوخات الممارسة نظرا إلى هذه الفوائد التي تحمل على مواصلة أهدافنا حول كلّ نقد، كاشفين باستمرار من الحياة في أهدافها والأهداف ذاتها مهما كانت مصطنعة بشدّة أو مهما كانت الطرق الموجودة والمفروضة كمرشد، بالعيش في أهدافنا وتلك التي لها أهمية كبيرة. سنمتنع من كلّ فائدة علمية أوأخرى هو إذن أول شيء الإيبوخي وحده.[23]

لنعد إلى السؤال الأكثر إتساعا الذي يتبعه: كيف بعد الإيبوخي الذي يرفض كلّ الأحكام التقليدية والمعطيات المسبقة، يستطيع البقاء مهما حصل والحكم على الحقيقة المؤسسة على البناء الأخير للتجربة ، والمعطى للذات والذي يحكم من خلال إرادة التأمل والتفكير ولا يقبل أيّ حكم[24].

الإيبوخي المتعالي هو موقف لتجربة نظرية وهكذا وعلى هذا النحو موقف علمي. وككل موقف علمي بصفة عامة، أستطيع أن أهجره وأن أتبنّاه (الموقف)، ما أخذته كقناعات علمية قد ملئت بالمعنى العلمي.[25]

وحده الردّ الفينومينولوجي يكسر هذا الأفق الموضوعي المتطور في الحقل الإعتيادي، هو يخلق ميدان للفائدة من نوع جديد مباشر من خلال ممارسة الإيبوخي وفي هذا بالذات التفكير المتعالي العالمي[26]

وقد ذهب « أرفي باغو» «hervé barreau في مقالته« **المعنونة إيستيمولوجيا فينومينولوجيا العالم المعيش**» حينما كان يحاول ان يضع مقاربة بين الابستيمولوجيا و العالم المعيش ونستطيع أن نقول أنّ هوسرل هو الأخير كان إنشغاله في وقت الأزمة على هذه الأبعاد، وللقول أيضا فقد أراد تحديد موضوع العلوم الرياضية الطبيعية في "أصل

الهندسة"، الإشكالية صعبة فقد تأخر كثيرا هوسرل لتوضيح مقترحه لما فيه من الغرابة، الإعتراض الأول لهوسرل والذي كان يحاول الإجابة عليه هو التالي: « ما هي تلك الإرادة الفريدة والغريبة التي قادت تماما سؤال أصل الهندسة إلى بعض إشكاليات الهندسة والتي تبقى مفقودة وحتى أسطورية، إجابة هوسرل هنا كانت رائعة فيما يتعلق برفض التمييز بين الإبستيمولوجيا والتاريخ كما يناسب تصور هذا الأخير (التاريخ) بالنسبة لإنتاجات الثقافة. إجابتنا هي الآتية: إنه من الواضح أنّ الإبستمولوجيا لم تعتبر أبدا كمحاولة حقيقة تاريخية ولكن بالتدقيق كانت هكذا في الماضي أي في ماضي الفلسفة وأكثر دقة في الإبستيمولوجيا، سنطرح إشكالية العقيدة القوية للإنقطاع المبدئي بين التربية الإبستيمولوجية، والتفسير التاريخي وأيضا التفسير السيكولوجي في نظام علوم الفكر، عقيدة الإنقطاع (الإنفصال) بين الأصل الإبستيمولوجي والأصل الوراثي»[27].

«هذه العقيدة، قد تمّ قلبها رأسا على عقب إذا تأملنا في التحاليل التي نقترحها، إذن هي توضح بالتدقيق بأنّ معرفتنا تلك التي تعرفها الهندسة (شكل لمعرفة حاليا نشيطة) كعادة وفي نفس الوقت كنشاط متحول، ليست أبدا كمعرفة مثل معرفة السببية الخارجية التي تستطيع أن تشغل التعاقب في حلقات لأشكال تاريخية أو حتى كمعرفة إستقرائية. التي ستصبح هنا (الطريقة الإستقرائية) بدون معنى إذا إفترضناها هنا، لكن فهم الهندسة هو فعل لمعرفة معطاة بصفة عامة، هي أن تكون أولا واعية بتاريخها (تاريخ الهندسة) وبأيّ طريقة تكمن فيها ضمنا، أكثر من ذلك المعرفة المتعلقة بالهندسة تكمن في الشكل الآتي: إشكالية التفسير التاريخي الأصلية تتصادف في العلم مع تلك الأساسات أو التوضيحات الإبستيمولوجية» [28]

بطريقة أخرى ما يجب أخذه في عمل معرفي هو الفعل الخلاق، لأنه فقط من خلال تكرار هذا الفعل الخلاق الذي نمتلكه من خلال التكرار ونمتلك معناه ولا يضيع في الإستعمالات اللاحقة التي تستبعده. نترك هنا إجابة هوسرل ونترك الإعتراض الثاني حول التاريخانية والتي تؤكد على ميزة كلّ معرفة تاريخية يجب عليها أن تدخل إلى المشروع الهوسرلي الموجه في "أصل الهندسة"، النظرة العامة التي منحناها تشير كفاية يبدو لي على تقديم العالم المعيشي في قاعدة كل معرفة، أو نشاط معرفي، ما يرفضه هوسرل مرة أخرى هو العقيدة التي حسبها والتي تنظر إلى تعاقب المراحل للعلم يجب عليها أن تكون مفسرة من خلال سببية تكون بعيدة عنها ولا تستطيع أن تفسرها، رفض هذه العقيدة، هي فهم أنه حقيقة المعرفة (الثقافة) يجب أن تكون مفهومة كتاريخية لأنه بهذه الطريقة الأصل ليس قابل للتفسير لأنه هو ذاته التفسير،[29].

إنّ ما يبدو لي هو أن فينومبنولوجيا العالم المعيش تحمل إلى الإبستيمولوجيا المأخوذة من منظور الفينومينولوجيا، إذا اهتممنا بالكائن وبحاضره وماضيه، إذن الشروط الخارجية التي تجعل من الأكيد والأساسي العودة إلى وجود المعرفة وخاصة المعرفة العلمية، لا تبدو ضرورية بالنسبة لجوهر المعرفة، بينما هذا الجوهر(العالم المعيش)هو الذي يهدف إليه كلّ مشروع من أجل الفهم العميق، وكل طريقة أخرى للفهم هي سطحية ولا يجب أن

تلفت إنتباه الفيلسوف، يبدو أنّ "موريس بلوندال (Maurice Blondel) في حقل التاريخ والمسيحية ، حاول أن يصل إلى نتيجة مشابهة (موريس بلوندال) حاول أن يوضح بأنه منذ بداية المسيحية كان معنى الأحداث المأخوذ هو الذي وجه التأويل المذهبي للنص المسيحي. , إذ الأحداث ذاتها ليس لها معنى إلا من خلال هذا التأويل،.

التاريخ والعقيدة نستطيع أن نقارنه عن هذه الوجهة بأصل الهندسة، موريس بلوندال رفض عرضية أو (عدم جوهرية) رجال اللاهوت وتاريخانية المؤرخين، هوسرل أيضا من جهته، رفض عقيدة الإنقطاع والإنفصال بين التربية الإبستيمولوجية والتفسير التاريخي وحتى التاريخانية من جهة، ومن جهة أخرى ما هو مهم في المعرفة هو في نفس الوقت تاريخي ولكن ليس بنفس المعنى للعلوم التاريخية' أبدي لكن ليس بالمعنى الأفلاطوني المفصول عن الجسد، لهذا السبب إنّ عالم المعرفة يتجدر في العالم المعيشي، لهذا السبب الإهتمام بالعالم المعيش الذي لا يستطيع تجاهل التاريخ يجب عليه أن يمر بالأحداث التاريخية حتى وإن كانت تشكله[30].

الهوامش:

[1]- Pierre Vermerch, psycho phénoménologique de la réduction, pvermers@es-conseil.fr. cnrs, grex, www.grex-fr.net , (version3) , 03/12/2003 p3

[2] - ibid, p;3

[3]- HERVé barreau. Epistémologie et phénoménologie de la vie. Manuscrit auteur, publié dans "N/P". halshs-00292307, version 1 - 1 Jul 2008.cnrs-strasbourg-nancy. p 06-07

[4]- ibid. p 08

*-عدّ **غاستون باشلار** (1962 – 1884) واحداً من أهم الفلاسفة الفرنسيين ، وهناك من يقول أنه أعظم فيلسوف ظاهري ، وربما أكثرهم عصرية أيضاً . فقد كرّس جزءاً كبيراً من حياته وعمله لفلسفة العلوم ، وقدّمَ أفكاراً متميزة في مجال الابستمولوجيا حيث تمثل مفاهيمه في العقبة المعرفية والقطيعة المعرفية والجدلية المعرفية والتاريخ التراجعي ، مساهمات لا يمكن تجاوزها بل تركت آثارها واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده

[5]- HERVé barreau, Epistémologie et phénoménologie de la vie , ibid. p 07

[6]- ibid. p 08

7- غاستون باشلار " فلسفة الرفض " ترجمة: خليل أحمد خليل . المؤسسة الجامعية للد راسات والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥'ص 16

[8] - Grieder, Alfons , Gaston Bachelard phénoménologue de la science moderne , traduction français par julien de 1 à 18 ,journal of the british society for phénomènologie , vol 17 , N°2,May 1986, une version abrégée de ce texte à été lu au collogue Gaston Bachelard de l'institue français de londrès le 19 mai 1984p14

Cet article se trouve égalment dans the philosophy and poetics of gaston bachelard(ed.m.mcallester)washington D.C.1989.LA PRESENTE traduction.approuvée par l auteur .a été realisée par julien LAMY

[9]- Grieder, Alfons , Gaston Bachelard phénoménologue de la science moderne ,ibid, p14

[10]غاستون باشلار " فلسفة الرفض " المرجع السابق ص4-11

[11]- Husserl, E : Logique formelle et logique transcendantale, P. 245.
[12]- ibid, P. 246.
[13]- Husserl, E : Logique formelle et logique transcendantale, P. 231.
[14]- Hurssel, E : Logique formelle et logique transcendantale, ibid, P. 231.
[15]- ibid, P. 361-362.
[16]- Hurssel, E : Logique formelle et logique transcendantale, ibid, P. 360.
[17]- ibid, P. 365.
[18]- ibid, P. 388.
[19]--Ricoeur, P. : A l'école de la Phénoménologie, Paris, Vrin, 1986, P. 51-57.

*- بول ريكور (Paul Ricoeur) يوضح حدود هذه الطريقة لفهم التاريخ ويعرض اعتراضاته على هوسرل، نأخذ من بينها أنّ تاريخ الفلسفة كما هو متضح هنا يكرس بصفة نسقيه الإشكالية المفردة لكل فلسفة إشكالية وحيدة ندعوها بـ المشكلة "الحقيقية"، أو المشكلة "الخفية"، كما هو الحال لدى هيوم.

[20]- Hurssel, E : La Crise des Sciences, P.213.
[21]- ibid, P.287.
[22]- Hurssel, E : La Crise des Sciences, ibid, P.286

*- مارك ريشر هو احد الاساسيين الدين يمتلون الفينومينولوجيا وهو فيلسوف من أصل بلجيكي يقيم حاليا في فرنسا وهو فيزيائي توجه نحو الفلسفة و اكتر دقة نجو الفينومينولوجيا الهوسرلية

[23]-Marc Richir – « Lebenswelt et épochè phénoménologique transcendantale», Kairos n° 22 - De Kant à la Phénoménologie, Toulouse, nov. 2003, p. 151-164.. p 151
[24] -Edmund Husserl; De la réduction phénoménologique : textes posthumes, traduit parJean-François Pestureau, Marc Richir,1926-1935. Grenoble : Millon, ©2007.p273
[25] - ibid.p281
[26]-ibid p 29
[27] -HERVé barreau, Epistémologie et phénoménologie de la vie , p12
[28]- ibid. p12
[29]-HERVé barreau, Epistémologie et phénoménologie de la vie , p13-12
[30] -HERVé barreau, Epistémologie et phénoménologie de la vie , p– 14

Les sources

- Edmund Husserl, « La crise des sciences Européennes et la phénoménologie transcendantale, Traduit par Gérard Granel, France : Edition Gallimard, 1976.
- Husserl, E : Logique formelle et logique transcendantal, Trad. Suzane Bachlard,presses universitaire de france. 2eme Edition, Paris, 1957
- Edmund Husserl; De la réduction phénoménologique : textes posthumes, traduit parJean-François Pestureau, Marc Richir,1926-1935. Grenoble : Millon, ©2007.

قائمة المراجع

غاستون باشلار " فلسفة الرفض " ترجمة: خليل أحمد خليل . المؤسسة الجامعية للد ا رسات والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥

LES REFERENCES

Ricoeur, P. : A l'école de la Phénoménologie, Paris, Vrin, 1986

LES ARTICLES

• Marc Richir – « *Lebenswelt* et *épochè* phénoménologique transcendantale», *Kairos n° 22* - De Kant à la Phénoménologie, Toulouse, nov. 2003, pp. 151-164..
• HERVé barreau. Epistémologie et phénoménologie de la vie. Manuscrit auteur, publié dans "N/P". halshs-00292307, version 1 - 1 Jul 2008.cnrs-strasbourg-nancy.
• Pierre Vermerch, psycho phénoménologique de la réduction, pvermers@es-conseil.fr. cnrs, grex, www.grex-fr.net , (version3) ,03/12/2003
- Grieder, Alfons , Gaston Bachelard phénoménologue de la science moderne , traduction français par julien de 1 à 18 ,journal of the british society for phénomènologie , vol 17 , N°2,May 1986, une version abrégée de ce texte à été lu au collogue Gaston Bachelard de l'institue français de londrès le 19 mai 1984p14